الإسناد والإجازة

عُرفت الإجازة في أوساط أهل العلم، كإذن من الأكثر علماً للمتدرج في طلب العلم، أو من الأستاذ إلى تلميذه.

وجاء في قاموس المحيط أن اسْتَجَازَ طَلَبَ الإِجازَةَ؛ أي الإِذْنَ.

وجاء في لسان العرب: جُزْتُ الطريقَ وجازَ الموضعَ جَوْزاً وجُؤُوزاً وجَوازاً ومَجازاً وجازَ به وجاوَزه جِوازاً وأَجازه وأَجاز غيرَه وجازَه: سار فيه وسلكه، وأَجازَه: خَلَّفه وقطعه، وأَجازه: أَنْفَذَه.

وجاء في الصحاح: أَجازَ له، أي سوَّغ له ذلك.

أما السَّنَدُ؛ فقد جاء في لسان العرب أنه: ما ارتَفَعَ من الأَرض في قُبُل الجبل أَو الوادي، والجمع أَسْنادٌ. وأَسنَد الحديثَ: رفعه، قال الأَزهري: والمُسْنَد من الحديث ما اتصل إِسنادُه حتى يُسْنَد إلى النبي صلى الله عليه وسلم، والمُرْسَل والمُنْقَطِع ما لم يتصل.

إن العلم الذي جاء به كتاب الله تعالى، آتاه الله جلَّ في علاه للمَلك جبريل عليه السلام؛ بوصفه واسطة التبليغ بين الله تعالى وبين رسله من البشر، ليبلغوه للناس؛ فيقوم الناس في هذه الدنيا بما أراده سبحانه وتعالى.

والرسل والأنبياء عليهم الصلاة والسلام رجال اجتباهم الله واختارهم ورباهم كما يريد سبحانه وتعالى؛ ليحملوا أمانة التبليغ للناس؛ فهم الصالحون الأمناء العالمون معلمو الناس مراد الله تعالى دون نقص أو تغيير؛ لذلك كانت أمانة عظيمة.

ثم جاء من بعد الرسل رجال حملوا هذه الأمانة، ووقع على عاتقهم بعضاً مما حمله الرسل عليهم الصلاة والسلام؛ فتفرغوا لتلقي العلم ودراسته ونشره، خاصة الشرعي منه؛ أي ما يختص بشريعة الله تعالى التي هي المنهج القويم والدليل الصحيح ليعيش الناس بسلام على هذه الأرض حيناً من الدهر، ثم ينتقلون إلى حياة أو حيوات أخرى، فإن سَلموا في الحياة الأرضية؛ فإن السلامة بما يليها مضمونة مأمونة؛ لأنهم آمنوا بما تبلغوه وعملوا به، ولم يحيدوا عن مراد خالقهم جلّ في علاه.

لقد ختم رسول الله صلى الله عليه وسلم حياته بخطبة سُميّت خطبة الوداع، جاء في آخرها قوله صلى الله عليه وسلم: ألا هل بلغت اللهم فاشهد، وكررها مرتين.

تلقى أهل الفهم هذه العبارة بعقول منفتحة واعية، فصار الواحد منهم يأذن لمن بعده من تلامذته وطلابه بما يلقنهم إياه من علوم، وهذا بلاغ؛ والإذن شهادة بقدرات هذا الطالب تلقياً وتعلماً وتدرباً، وأنه يستحق درجة الأستاذية؛ وبذلك يصير مُعلِّماً وأستاذاً لما تبلغه.

تابعت الأجيال ذلك جيلاً بعد جيل؛ لتصل شريعة الله للناس، ويبقى ذلك إلى ما شاء الله تعالى.

أذكر أني كنت أقرأ في بداية تخصصي بعض الكتب القديمة؛ التي أجد في مقدماتها ذكراً لشيوخ مؤلفيها، ثم تلامذتهم؛ فأسأل نفسي لماذا ذلك؟ ثم وقع في قلبي أنها السلسلة التي نقلت وتناقلت العلم بأمانة، فالمؤلف بذكره لشيوخه وتلامذته؛ يُعرّف نفسه في هذه السلسلة المضيئة من حملة العلم ممن شَهد لهم مَن قبلهم من أهل التثبت والأمانة والفقه؛ فيعلم القارئ أن ما بين يديه هو من تأليف رجل أخذ علمه ممن يوثق بهم سنداً متسلسلاً حتى رسول الله صلى الله عليه وسلم، الذي تلقاه شفاهة من الرسول جبريل عليه السلام عن الله تعالى جلّ في علاه.

فصار ما تلقاه أولئك الرجال تواتراً عن جمع غفير من بعضهم البعض مصدراً من مصادر علوم الأمة؛ فما كان من كلام الله تعالى فهو قرآن يُتلى آناء الليل والنهار ويُعمل به كمنهاج حياة.

وما كان من كلام رسول الله صلى الله عليه وسلم فهو حديث شريف يشرح ويبين كلام الله تعالى يُقرأ ويُحفظ ويُعمل به باستمرار لأن فيه الصلاح والفلاح.

ثم ما كان من أقوال الجيل الأول كان قول صحابي واجتهاد منه. وما كان من أقوال الجيل الثاني كان قول تابعي واجتهاد منه.

وما كان من أقوال الجيل الثالث كان قول تابع تابعي واجتهاد منه، وما زالت الأجيال تتابع ذلك بتعلم واجتهاد منهم، فيهم المصيب ومنهم دون ذلك، وقد يندس فيهم مشككون ومبطلون، ويبقى التدافع قائماً بين الناس سُنَّة من سنن الله تعالى ليميز الله الخبيث من الطيب وصولاً لسُنَّة الاستقرار والديمومة؛ فما ينفع الناس يمكث في الأرض وأما الزبد فيذهب جُفاء.

وبذلك حفظ الله دينه في صدور مستوعبة، وعقول راجحة نيّرة إلى ما شاء.

وقد وَثّقت سلسلة الرجال بعضها بعضاً؛ فأجاز الأقدمون من أتى بعدهم من حملة العلم ممن شُهد لهم بذلك حقاً؛ فمفتي الشام الشيخ عطا الله الكسم استدلَّ من وصية رسول الله صلى الله عليه وسلم في خطبة الوداع: ليبلغ الشاهد منكم الغائب؛ أن الإسناد سنة من سننه صلى الله عليه وسلم؛ لأنها تبينّ طريق الحق والرشاد، وتحث على تبليغ الشريعة بالحث الواجب ... وأن الإسناد إنما هو من العلم؛ وقد اختصت به الأمة المحمدية من بين سائر العباد[1].

وقد شبه شيخ القراء الشيخ حسين موسى شرف الدين مجموع سلسلة رجال العلم؛ بالشجرة الطيبة التي أصلها ثابت وفرعها في السماء تُؤتي أُكلها كل حين بإذن ربها، ثم شبه رجالها بالنَحل؛ لأنهم يتنقلون بين أفاضل العلم وأوليائه ممن طهر قلبه وسلمت فطرته، يتتلمذون ويتعلمون ويتلقون عنهم صحيح العلم، فيَنحلون أفكارهم بالاستقامة التي عهدوها عن بعضهم بعضاً؛ لتخرج علومهم شفاء لكل عليل، تنير درب كل من يبغي الحق، وهكذا هو حال الشراب الذي يخرج من بطون النحل تراه مختلف ألوانه، وفيه شفاء الناس.

لقد كان للصحابة رضوان الله عليهم من هذا المشرب أصفاه وأعذبه، ومن العلم بالكتاب والسنة أزكاه وأطيبه، وكيف لا يكونون كذلك وقد تُليت عليهم آيات الله وفيهم رسوله ولهم من الاعتصام بالله ما ضمنت له ولهم الهداية والاستقامة، ومن يعتصم بالله فقد هُدي إلى صراطٍ مستقيم، فسبحان من أعطاهم وفضّلهم على سائر هذه الأمة، ورضي عنهم وهنّأهم بما آتاهم من ذلك ببلوغ أعلى منازل الصّدّيقين؛ أدّوا إلينا سُنن رسول الله صلى الله عليه وسلم وشاهدوه والوحي ينزلُ عليه؛ فعلموا ما أراد رسول الله صلى الله عليه وسلم عاماً وخاصاً وعزماً وإرشاداً، وعن التابعين والذين اتبعوهم بإحسان إلى يوم الدين. وقد اختص الله تبارك وتعالى هذه الأمة المحمدية ببقاء اتصال الأخذ والإسناد حفظاً للشريعة المطهرة إلى يوم التناد[2].

قواعد الإجازة:

[1] مفتي الشام الشيخ عطا الله الكسم.
[2] شيخ القراء الشيخ حسين موسى شرف الدين.

حصل العلامة شيخ القراء بالشام الشيخ عبد الله بن محمد سليم المنجد رحمه الله على إجازات عليّة خلال رحلته العلمية، ذُكرت بعد وفاته في ترجمته الذاتية[1]، بلغت ست إجازات، وبدراستها، استنتجنا سبعة قواعد لابد من ذكرها في الإجازة؛ حيث اشتركت أغلبها بذكر تلك القواعد، وتتلخص القواعد بالآتي:

١) حمدُ الله تعالى، والصلاة والسلام على نبيه الكريم، ومن ذلك مثلاً:

- حمداً لمن جعل السنة النبوية لأمراض القلوب شِفا، ووفق من اختاره من عباده لخدمتها فراق لبّه من عذب كوثرها وصَفا، وصلاةً وسلاماً على من سنّ لنا سنة الإسناد، وبينّ لنا طريق الحق والرشاد، وحثنا على تبليغ الشريعة بالحث الواجب، حيث قال: ليُبلْغ الشاهد منكم الغائب، وعلى آله وصحبه ذوي الفهم الثاقب[2].
- حمداً لمن رفع مقام أهل الحديث وجعلهم لخلقه أئمة وقادة، وصحح نياتهم؛ فحسنت أخلاقهم وصَفَت سرائرهم وذلك عنوان السعادة، وتشرفوا باتصال سندهم إلى نبي الرحمة، وذلك من خصائص هذه الأمة؛ فهم ورثة الأنبياء، وليس على هذا الشرف زيادة؛ فهم نجوم الهدى، ومصابيح الدجى، لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله؛ فسبحان من اختار من خلقه هُداة وفقهم لنصرة دينه، وجعلهم للناس سادة[3].

٢) ذكر المجيز لما يحمله من صفات علمية، ومن ذلك:

- وقد أخذ الشيخ أحمد دهمان الإجازة بالتلقي والتدبر والمشافهة والتفكر، عن الجهبذ الكامل، والعالم العامل، من نشر علوم القرآن خدمة للقرآن العظيم، ونَظَم في سَلك تأليفها من عوارف معارفه ما يفوق الدرّ النظيم، شامة وجنة الشام وجوهر ثغرها البسّام، سلالة الصفوة الهاشمية، وشيخ القراء بالديار الدمشقية السيد السند المكرم، والإمام الهمام المعظم الشيخ أحمد أفندي، فقد قرأ عليه ختمة كاملة مع التجويد والإتقان[4].

[1] نشرتها دار البشائر بدمشق عام ٢٠١٨.
[2] مفتي الشام الشيخ عطا الله الكسم.
[3] الشيخ محمد صالح المفتي الآمدي.
[4] شيخ القراء الشيخ أحمد دهمان.

٣) الشهادة للمجاز بسلوكه درب العلم وتحصيله، وأنه جنى ثمار ذلك أو بعضه، ومن ذلك مثلاً:

- إن ممن سلك في تحصيل العلوم أحسن مسلك وأقومه، وجنى من ألذ ثمره أطيبه العالم العامل والحافظ الجامع الكامل الشيخ عبد الله المنجد، فهو منذ شبّ مُشتغل بتحصيل العلوم، ومُثابر على تحرير المنطوق[1].
- إنّ الإسناد من الدين والآخذ به متمسك بالحبل المتين، فمن ثم عكف أهل العلم عليه وتوجهت مطايا هممهم إليه، ولما كان منهم الأستاذ الحافظ الشيخ المجاز الذي طلب من الشيخ محمد بدر الدين الحسني أن يجيزه باعتبار أن الإجازة هي أمان عند اقتحام المفازة[2].
- إن التحلي بالعلوم والمعارف من أشرف النعم واللطائف، وأسنى المطالب وأعلاها وأفخر الرغائب وأغلاها، وإنّ من رتع في رياضها وورد على حياضها فاجتنى منها نضيج الثمر، واستحلى فيها مع الندماء السمر وسلك في خيرها سبيلاً، وشرب من مائها سلسبيلاً. إنّ حضرة الكامل الفاضل الماجد سلالة الكرام الأماجد الشيخ عبد الله أفندي بن سليم المنجد والذي لا زال لمن هوى في هوة الهوى منجداً، وفي طلب معالي الأمور متهماً ومنجداً[3].

٤) تواضع المجيز ورفع شأن المجاز، فأكثر المجيزين يذكرون أنهم غير مؤهلين للإجازة، مع أنهم العلماء الفقهاء الأجلاء، وما ذلك إلا تواضع العالم العامل، ومن ذلك:

- حتى فاق من هذا الحقير أن أجيزه بما يجوز لي وعن روايته، وهذا لحسن الظن بي فإني لست أهلاً لأن أُجاز فضلاً عن كوني مُجيزاً[4].
- هذا ولما جاد الزمان بصاحب العصر والأوان الحافظ المجد المجتهد الشيخ عبد الله المنجد[5].

٥) الإجازة بما يحق له أن يجيزه به؛ أي حسب الاختصاص الذي هو عليه دون تجاوز، ومن ذلك:

- قد أجزت الفاضل المذكور بما تجوز لي وعني روايته.

---

[1] مفتي الشام الشيخ عطا الله الكسم.
[2] محدث الشام الكبير الشيخ محمد بدر الدين الحسني.
[3] الشيخ عبد القادر القصاب.
[4] مفتي الشام الشيخ عطا الله الكسم.
[5] شيخ القراء الشيخ حسين موسى شرف الدين.

- فأجازه بالمعقول والمنقول من فروع وأصول والأحاديث الشريفة والآثار المنيفة التي اشتملت عليها الجوامع والمسانيد ذات الأنوار اللوامع، وقد أجازه أيضاً فضلاء العصر وجهابذة مصر[1].
- إني لست من فرسان هذا الميدان ولا ممن له في سباحة بحر العلم يُدان، وهو وإن كان في ظاهر الأمر هو المستجيز فهو في الحقيقة مجيز[2].
- ويوصي الشيخ أحمد دهمان الشيخ المجاز بتقوى الله والمواظبة على قراءته وإقرائه[3].
- وقد أجزت العلامة المذكور أن يروي عني كتاب الصحيح للإمام أبي عبد الله البخاري رحمه الله تعالى بشرطه المعتبر عند أهل الحديث والأثر بحق روايتي له عن جد المجاز شيخ الإسلام وبركة الأنام بهجة النقاد وعلم الإسناد المشتهر بالأخلاق السنية والمتوج بتاج السنة النبوية العلامة اللغوي سيدي عمر أفندي الآمدي[4].
- هذا ولما جاد الزمان بصاحب العصر والأوان الحافظ المجد المجتهد الشيخ عبد الله المنجد، جاءني وأخبرني بأنه قرأ ختمة السبعة من طريق الشاطبية والتيسير، والعشرة من طريق الدرة والتحبير على الحافظ القدوة المقرئ العلامة الشيخ أحمد أفندي دهمان الدمشقي. ثم قرأ على هذا العبد الفقير الراجي عفو ربّه القدير ختمة العشرة بما تضمنته طيبة التقريب والنشر الكبير على طريق العراقيين والمغاربة وطريق المناسبة. وأتم تلك الختمة بالجد والسعي الوافر؛ فلما شاهدت فيه من الاقتدار للإقراء والإفادة للطالبين وأن يجيز بذلك لمن يراه من المستعدّين الآخذين أجزت له بذلك طلباً لمرضاة العزيز الغفار إنه كريم ستار[5].

٦) توصية المجاز بما يجب أن يكون عليه منهجه في العلم، وفي حياته العلمية، ومن ذلك:

[1] محدث الشام الكبير الشيخ محمد بدر الدين الحسني.
[2] محدث الشام الكبير الشيخ محمد بدر الدين الحسني.
[3] شيخ القراء الشيخ أحمد دهمان.
[4] الشيخ محمد صالح المفتي الآمدي.
[5] شيخ القراء الشيخ حسين موسى شرف الدين.

- أوصي حضرة الأستاذ المجاز بمجاهدة النفس وتفريغ القلب عن الأغيار وتطهيره عن سفاسف هذه الدار وبملازمة الأذكار المأثورة والأدعية المشهورة والإكثار من الصلاة والسلام على خير الأنام مع المشاهدة المعنوية المنتجة للمجالسة الحسية[1].
- وقد أوصى الأستاذ المذكور ونفسه بالتحري في النقل وكرم التقوى التي هي عند الله السبب الأقوى[2].
- وأوصيته فيما قرأ عليّ وتلقّاه مني بشرط أن لا يتخطاه ولا يخلطه بسواه وأن لا ينشر العلم إلا لله وأن لا يجعل اعتماده إلا على الله[3].

٧) توصية المجاز بالدعاء الصالح للمجيز، فالعلم رحم بين أهله، والعلم حسنة جارية يعلم صاحبها أن من عمل به فله أجره وأجر من عمل به إلى يوم القيامة دون أن يُنقص ذلك من أجورهم شيئاً، لذلك يحرص المجيزون توصية تلامذتهم المجازين على الدعاء لهم باستمرار، ومن ذلك:

- وأوصي المجاز بأن لا ينساني من صالح دعواته في أشرف أوقاته.
- ويرجو منه أن لا ينساه من الدعوة الصالحة.
- وأن لا ينساني من صالح دعواته وحسن توجهاته.
- وأن لا ينساه من صالح دعواته لا سيما بعد قراءته وعقب صلواته.
- وأوصى الشيخ المجاز؛ أن لا ينساه من دعائه في خلواته فهو العبد الفقير محب العلماء العاملين ومحسوب السادة الفقراء الكاملين عبد الله بن السيد درويش الركابي الشهير بالسكري عفا الله عنه وعن كل مرتقي[4].
- وأن لا ينساني من صالح دعواته في خلواته وجلواته ولمشايخي ولوالديّ ولإخواني المسلمين أحياء ومنتقلين[5].

[1] محدث الشام الكبير الشيخ محمد بدر الدين الحسني.
[2] الشيخ عبد القادر القصاب.
[3] شيخ القراء الشيخ حسين موسى شرف الدين.
[4] الشيخ محمد صالح المفتي الآمدي.
[5] شيخ القراء الشيخ حسين موسى شرف الدين.

إنّ العلم هو أساس تطور الأمم، والقراءة أهم أدوات تحصيل العلم، وأول كلمة نزلت في كتاب الله تعالى هي "اقرأ" لحث الناس على القراءة والتعلم، وكتاب الله تعالى كله علمٌ لذلك حريٌّ بأمة الإسلام أن تكون سباقة في طلب العلم، والأمة التي ترغب أن تقيم بنيانها على أسس صحيحة عليها أن تتبنى العلم سبيلاً، وأن تُكرّم علماءها.